

فَقِيدُ اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

طَاهِرٌ حُسَيْنٌ فِي ذِمَّتِهِ السَّمْعُ

الدكتور المرحوم طه حسين ظاهرة فكرية تميز بها عصره الأدبي فهو أول من دعا إلى التشكك البناء ليصل إلى اليقين الوضاء ، ولقد بقي أميناً للفكر الحر طوال عمره لم يحد عنه قيد شعره . بدأ حياته كسائر أقرانه من صبيان القرى المصايبين بمادة المعى ، في حفظ القرآن الكريم ليكون — على حد ما رسم له أهله — فقيهاً يرتل القرآن في الجنائز ويكافح من أجل لقمة العيش في هذا الطريق الضيق الذي حتمه عليه قدره ، غير أن حيوية طه حسين وطموحه رفعت من الغضارة إلى الوزارة ومن فلاح فقير إلى مفكر كبير . ومن إنسان مجبول إلى أديب تطنطن باسمه البلاد شرقاً وغرباً ، وتجاوز صيته جدار اللغة العربية فعرف في كثير من اللغات التي ترجمت كتبه إليها كالفرنسية والإنكليزية والروسية والإسبانية وسواها .

درس في الأزهر ثم دخل الجامعة المصرية القديمة وتخرج منها وهو يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب (كان موضوعه فيها عن أبي العلاء) وابتعث إلى فرنسا فحصل منها على دكتوراه أخرى (كان موضوعه فيها عن ابن خلدون) وعاد فمضى في طريق الوظائف وارتقى في الجامعة درجة حتى نال منصب عميد في كلية الآداب وتقدم به طموحه حتى تسلم منصب مستشار في وزارة المعارف ثم أصبح وزيراً لها ، والواقع أن المستشار هو الوزير الفعلي لأنه المخطط الفنى للوزارة والتعليم في البلاد والوزير هو الأمر بالتنفيذ والموقع على الأوراق وحسب ، وقد استطاع طه حسين في جميع مناصبه أن يثبت دعائم التفكير المتحرر من ضغط التقاليد الموروثة ، وقداسة القدم التي تضيء عادة على المفكرين والمؤلفين السابقين .

ولقد آمن طه حسين بنظرية التشكك في الشعر الجاهلي وهي نظرية لم يبتدعها ولكنه تبناها وساعد على إخراجها وإذاعتها في الأوساط الفكرية بكتابه « في الشعر الجاهلي » ولما ثار به المجتمع وسحب كتابه من الأسواق وحول من منصبه — وكان استاذاً في كلية الآداب — إلى

موظف في وزارة التربية وهاجمته الصحف واعضاء البرلمان وبعض الوزراء نعم بعد هذه الضجة عدل كتابه بعض التعديل وسماه « في الادب الجاهلي » لكنه لم يغير آراءه فيه جزئيا . وتوالى مؤلفات طه حسين بعد ذلك في جميع فروع الثقافة الادبية فالتقى الدراسات الادبية والقصة والبحث والمذكرات ، وكانت اعظم كتبه على ما يقول البعض « على هامش السيرة » « والايام » . واطلق عليه لقب « عميد الادب العربي » وانتخب رئيسا لمجمع اللغة العربية في القاهرة وطالت مدته فيه وبقي الرئيس الفخري له حتى وافاه الاجل في اواسط اكتوبر 1973 ، واثرت طه حسين في جيله بلرز جدا يظهر في هذه الكثرة الكثيرة من الادباء صغارا وكبارا ممن تأثر بأرائه وسار على طريقه في الشك النيكاريتي وفي منهج البحث الادبي

ثم في هذه الكتب المتعددة التي كتبت عنه وضده ، وفي الكتب التي شارك في وضعها وتنسيقها ، وفي مقدمات الكتب التي انشأها كبار المؤلفين ، وفي المقالات المتعددة التي كان ينشرها في الصحف ، وفي المحاضرات التي القاها ، وفي الندوات الجمعية والمستشرقية التي شارك فيها ، ثم في هذه الدفقات من خريجي الجامعات المصرية وكان له الفضل في اشاعة التعليم المجاني بدءا من مدارس الحضانة حتى الجامعة ، واغلب الظن ان طه حسين سيخلد خلودا طويلا وسيبقى اسمه شامعا في التاريخ الادبي والفكري الى جانب الكبار امثال المتنبي والجاحظ وابي نعلاء ، رحمه الله تعالى كفاء جهاده في خدمة الفكر الادبي المحرر واوسع له من مغفرته ما يشاء .

ممدوح حقي

